

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للحفظ

يتخففون

الأسنان إجماعاً زكي شأنا

كاتباً سرار مجلس المنظار

— ❦ —

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tadj.)

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الاسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	نظرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستفتاء ابن التديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستفتاء أبي حيان التوحيدي
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	إستفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيده لهذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٨٣ - ٧٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للجاحظ

صفحة

١

المقدمة

إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي ٤

٥

الفاتحة

٧

باب في الدّخول على الملوك

فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه ٧

٧

الأشراف وسلامهم وقودهم وأنصراهم

٧

الأوساط: سلامهم وقودهم وأنصراهم

٨

إستقبال الملك للساوین له وتشييعه أيام

٩

مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

تخفيف الأكل بحضرة الملك ١١

١٢

ماضله حاجب المنصور العباسي مع الفقي' الهاشمي، لتأديبه

١٣

تخفيف الندماء والخوارج على مائدة الأكابر

١٣

عقوبة الشرّ عند القُرّس

١٤

مبايعة الملك لمواكله

١٤

بين معاوية والحسن بن علي، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥	ضيافات معاوية في ماصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	إخبار سابور لرجل، رُحْمَه لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	غسل اليد بمحضرة الملك
١٧	إيناس الملك لمدعويه
١٧	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل النعمر [أى منشفة النفر]
١٨	حديث الملك ومحدثته على المائدة
١٨	زمنمة القُرس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعله عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء، وأحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كيفية الشرب وكيفيته موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمغنيين عند القُرس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	إحتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	مماقة أردشير لنفسه، لمخالفته هذا القانون
٢٨	إختلال هذا النظام أيام بهرام جرد، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التساج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة شتم في وجهه، هنزلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معارية، ومرران، وعبد الملك، والوليد، وسليان، وهشام، ومرران الجعدي ...
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السفاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرشيد
٤٢	الأمين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٤٩	عذل الملك في مجلس الشراب
٤٩	مكاملة الندماء للولوك
٥٠	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	آداب البطانة عند قيام الملك
٥٢	عدم الدق من الملك، إلا بشروط
٥٣	الاستماع لحديث الملك
٥٣	(كلمة لعديرون العاص عن جلسيه وثوبه ودأبته)
٥٤	(كلمة لشعبي عن قوم يتناقدون ويتهايمون)
٥٤	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهلي عن حسن إلفهامه وحسن فهمه
٥٤	ما حصل لرجل كان أنوثيروان يسايره
٥٥	ما وقع لأبن شجرة الرهاوي حينما حادثه معارية
٥٨	ما وقع لأبن بكر الهدلي حينما حادثه السقاح
٥٩	(كلمة أبن عياش المتوفى في آداب المهادنة)
٦٠	(كلمة روج بن زنباع في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة أسماء بن خارية القزاري في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة معارية في هذا الموضوع)
٦١	آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة مع الملك
٦١	تنكر أخلاق الملوك
٦١	صبر الملوك على مضض الحقد حتى تحين الفرصة للانتقام
٦٢	معاقبة أنوثيروان لمن خانته في حريمه
٦٥	نكية عبد الملك بن مروان بمن فازعه الملك
٦٦	نكية الرشيد بالبرامكة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٦٦	مراعاة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصحاب في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيبته
٧٠	الرقباء على مجالس ملوك العجم عند غياهم
٧٠	مواطن المكافآت
٧٠	بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خلق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة، وعلومه
٧٢	عدّة الملك في خروجه لسفر أو زهرة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك للملاعبه
٧٢	حق الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبة ساورلنديه على أمر مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكرة وغيرها
٧٤	لعبة الشطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت الملك سِنَّةً من النوم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مساية الملك
٧٧	سنة أكابر العجم عند تهيئهم للساية

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبد أثناء مسيرته أقباذ
٧٩	ماحصل لشرجيل أثناء مسيرته لمأوية
٨٠	تحذير لمن يسير الملوك
٨٠	نظير العجم من مسيرة الملك المتصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن السَّعَّاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما قاله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة ...
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الاسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه ...
٨٩	الأمر التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الحمامة - الفصد - شرب الدماء
٩٠	عدم تسميت الملك ، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبُطء الرضا
٩٢	غضب السَّعَّاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إشمان أبرر زوجه في حفظ السر
٩٥	إشمانه رجالة في حفظ الحرم
٩٨	إشمانه من يطعن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	سائل يهرام بجور عن سرقة اللجام الممل بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب ...

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدنانير
١٠٢	الرد على قولهم : "المغبون لا محمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداه
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرة الرائعة
١٠٤	إكرام أهل الوفاء وشكرهم
١٠٥	قُبَّاذ ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السفاح لمروان بن محمد الجعدي بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأسورة المقترعون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شبرويه ومادحه على قتل أبيه أبرويز
١١٠	المصور الباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه بعد قتله
١١١	المصور الباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الأدب عند ما يتكلم الملك
١١٢	الأدب في تحديث الملك
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتين على الملك
١١٣	كلمة رنح بن زُبَيْع في المعنى
١١٤	كلمة النعمي في المعنى
١١٤	كلمة السَّفَّاح في المعنى
١١٤	قصة ابن عياش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١١٧	(عود الملك) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالانصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعيب في حضرة الملك ...
١٢٠	تحرير الملك بين رجاله ...
١٢١	آداب السفير ...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير ...
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى ...
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه ...
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقيله ...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم ...
١٢٤	السنة النبوية في النوم ...
١٢٥	إطلاق الوالدين فقط على منام الملك ...
١٢٥	معاملة الابن للملك ...
١٢٥	ما فعله يزيد مع ابنه بهرام، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا ...
١٢٦	ما فعله معاوية مع ابنه يزيد ...
١٢٦	ما فعله المهدي مع ابنه الهادي ...
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون ...
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم ...
١٢٧	واجبات ابن الملك ...
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك ...
١٢٩	الحيلة في معالجتها ...

فهرس كتاب "الساج"

صفحة	
١٢٩	ماصنه ماز يار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ماصنه روح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان واستعادة رضاه عليه ...
١٣٢	مافعله جريش الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	مافعله عبد الملك بن مهامل الحمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالجفوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان، وأمثولة "كائلة ردينة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك؛ ونظام التشريعات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاتهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والثيروز، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم أقتدى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	هو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم، وأنواعها
١٥٩	إستقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فہرس کتاب "التاج"

٦٣	...	...	...	...	...	...	العقوبة الربانية للـك الظالم
٦٤	...	...	...	...	...	...	ما صنع بهرام جور لأخذ ملك أبيه
٦٧	...	...	...	...	...	...	استقصاء الملك لأحوال رعيته
٦٧	...	...	...	...	...	...	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك
٧١	...	...	...	...	...	...	التمييز بين الأولياء والأعداء
٧٢	...	...	...	...	...	...	بماذا تطول مدة الملك
٧٣	...	...	...	...	...	...	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
٧٣	...	...	...	...	...	...	سنة الأتاجم إذا دهمتهم الكوارث والمفازم
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله معارية أيام صفين
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	...	...	...	...	...	...	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	...	...	...	...	...	...	خدعة بهرام للعقد الذي قصد دار ملكه
١٨٠	...	...	...	...	...	...	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

التدويه بالأمر الفتح بن خاقان، الوزير العباسي ١٨٦

٣ — ملحقات الكتاب

صفحة	
١٨٩	تكميل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحیحات لأغلاط مطبعية
	استدراك لهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي آفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطاً للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
	الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣	الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	» » الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
	» » الخامس [ومر الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لكتاب "التاج"

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل أسـ فتاحتها، كما بُدئَ
بالنعمة قبل أسـ حقاقتها"^(١).

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج". وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك".
نظرة عامة
في الكتاب وتؤلفه.

هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجمة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الظرائف، ومنشأ أرباب
الغايات؛ أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده،
مما تقرّاه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صدر سهل بن هارون أحد كتبه . ركان معاصراً للجاحظ . أنظر "البيان والتبيين"
(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مِرْآةً يُعْجَلُ فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آفتبس العرب بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسوَّدة من آل عباس، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام، وجلس على سرير الخلافة سابعهم، الميمون النقيية، المبارك الناصية، وأعني به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خُراسان وما والاها، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : نتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين، حتى لقد ينسئ الجاحظ خُطَّته ومنهاجه فيسرُد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة، كأنها مألوفة في تلك الأيام، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام.^(١)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من غول البلاغ . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقائنا . ولو كان خلاف ذلك ألدّ ، لكات الملوك بذلك أولاً " . أنظر كتاب الحيوان ، (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهمداني في " صفة جزيرة العرب " : وبها آلة الحرير النقيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام أن بنى ألف كتاباً سماه " التصريف الملوكي " .

(٢) كان السواد شعاراً لبني العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ " المسوَّدة " [بكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وذوهم والمتصرون لهم يسمون " المبيضة " [بكسر اليااء المشددة] . وقد أمصطح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : " سوّد أهل المدينة الفلانية " أو " بيضوا " دليلاً على أنصوائهم تحت لواء العباسيين أو أنصباهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٥٤٤ من ص ١٤٦) ، ثم (ص ١١ من ص ١٦٠) من كتاب " التاج " . وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا القيل .

للمحافظ

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسامين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية، وفي أنديتهم العمومية، ووقفنا فيه على سمرهم، وقصصهم في ليالي أنسهم، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حفظهم، ومسارح ههؤهم، ومراتع طربهم. وناهيك بيجالسهم في الأغاني والمنسامة، وبجامعهم في الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأماثل في أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن الجاحظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد آتساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى ما يرياد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف أستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "جِراء" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتدانية . وقد استعمل الجاحظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المادبة رولى الدعوة إذا جاء رسوله — والقوم في أخوتهم وأنديتهم — فقال : أجبوا إلى طعام فلان . لمجلهم جفلة واحدة — وهي الجفالة — بذلك هو المحمود . وإذا أنتقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ؛ وقم أنت ، يا فلان . فدعا بعضا وترك بعضا ، فقد أنتقر" . [والقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوتن "أخوتهم" بالخاء المعجمة . ولا راحة للجحام في هذا المقام ، والإجمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الأسطرادين الطويلين المر يقضين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرًا مكتومًا في ضمير
الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير ما لا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجبح فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طوب قيو بمدينة أفسسطينية في مجلدة
- هي لعمري ! - من أنفس النخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنما تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لابن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه "الأدب الكبير" بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : "يتلوه كتاب "التاج" للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَسَرَّحَانْ مَا تَجَزَّدَتْ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النَّيْلِ - فِي جَمَلَةٍ مَا تَصِيدُ تُهً مِنْ مِفَاحِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ ، فَهِيَ خَلُوهٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آتَلَتْ إِلَيْهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مِقَابَلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْخِزْيِيَّةِ أَوِ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وَرَاشَتِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكُتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةً مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةُ مَكْتُوبَةٍ فِي أَسْفَلِ طَرَفِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ لِلنُّسخَةِ مَكْتُوبَةٌ فِي حَلَبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مُشْكُولَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ . عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصْبَحُ الْأَعْتَادُ بِهِ أَوِ الْأَعْتَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، إِنْ لَمْ تَقُلْ فِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنَّا - مِمَّا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ . إِذْ أَنَّ حَلَبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عُيَالَةً تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايُ الْمَحْمُودِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حُوزَةِ خَلْفَائِهِ إِلَى أَنْ آتَرَعَهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانُصُوهِ الْغُورِيِّ فِي سَنَةِ ٩٢٢ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

كتاب التاج

في ضمن الغنائم التي استولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبَان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير^(١) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها آتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصرى الذى كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمته بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرزة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذى سبق لنا الكلام عليه . اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعى وبلغه مدى جهدى . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استمالتها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والأنتشار ما هو خليف بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أنى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأنى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل ، ولكنى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل !".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الروائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابعة بمزية لم يشرَكه فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلبه ماعتَمَتِ أَنْ أصبحتَ متاعاً مُشاعاً ونَهَباً مُقْسَماً بين فُرسانِ الكتابة وقُرصانِ الأدب . فقديماً سطا عليها المتقدمون من أرباب الأقلام ؛ ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مُباحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طُرفة لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قزرها القاضى الفاضل ، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! ألفا تراه قد سجلَ اعترافه على نفسه، وشرَعَ هذا المورد لمن اقتدى به أو حاول الجرى على سَنَنِه، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما الجاحظ، فما منا معاشر الكتاب إلا من دخل داره، أو شنَّ على كلامه الفاره، وخرج وعلى كتفه منه الكاره" ؟

(١) لذلك أقتصرتُ فى الفهرس الأبعدى الأول من الفهارس الملحقه بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنفعتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العبرى صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الوافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . [والكارة ما يحمله الرجل على ظهوره من الثياب . وهى تقارب التى نسيها الآن فى مصر "بُقْجَة" . كلمة تركية ، وعربيتها الفصحى "بُكْمَة"] .

كتاب التاج

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بتر أو يمسخونها مسخا. وكأني بهم قد تماؤؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمر يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علقته عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات"^(١).



لكن العجب العجيب، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب، لم يُشر إليه واحد منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفت عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين، مع شدة التنقيب والبحث، ومداومة التقلب والحرج.

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج"^(٢).

من أين هذا
والكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الالفة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .

(٢) في "أساس البلاغة" : "نزل القرآن : أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج المروس" : "الحرج تنقيش الكتاب وتدبره ... وفي حديث عبدالله : أحرثوا هذا القرآن ، أي قدشوه وتؤروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين لحرج الأرض ولحرج العلم ، فيقولون : Cultiver une terre و Cultiver une science (٣) مع أنه هو المكتوب على طرة النسخة المحفوظة بمخزاة طوب قبر ، كما تراه في أحد الرموز الفتحرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطرير العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الرموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبر] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضائها -
مشكلها .



فَزِعْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد تَوَّه بعض مصنفاته في مقدمة مصحفها
الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضا ؛ وكذلك فعل في "البيان والتهيين" .
ثم رجعت إلى ثَبَّتْ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي^(٢) ، وراجعت ما كتب
عنه الصفدي^(٣) في "الوافي بالوفيات" ، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" .
ونظرت فيما أورده كاتب جلبي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أر في كل ذلك أثراً لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني
وجدتُ ياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلبي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً
عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلتُ أن الكتاب واحدٌ ، وله آسمان .

أؤكد ذلك الظن عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية
من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانه
"كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . وله نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطي بدار الكتب
العثمانية . كتاب الصحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذي تم طبعه أخيراً بالقاهرة بناية صديق الأستاذ مرجوليوث ، المستشرق الإنكليزي
(٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطبرستان

المذكور العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة
جمعية التاريخ الملكية بمدرسة عاصمة إسبانيا . نقلها لـ بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو قُداو
D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (I. M. Chabot) المستشرق
الفرنسي ، فأتحفني بصورة توثيقية منقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨)
فله مزيد الشكر على هذه المونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بمضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرياسة"^(١).

وقد حصّلتُ، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوى على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيته . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دأبا نصها : "وكان في المنقول منها سقامة" . فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجع عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان ، أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وأبن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

مريد إلى التحقيق
في أسم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد استمد ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو ، فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ للميلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خُلو من العناوين: "التاج" و"أخلاق الملوك". بل يسوغ لي أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العناوين شيئاً على الإطلاق. لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود في الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان في ضاعيفه وشيائيه كتب أخرى: كما هي العادة في كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل في تلك الخزانة نفسها. لذلك أبزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو، قد اقتصر على ما رآه في صدر الورقة الأولى، وقد فعل.

وكيف لا، ونحن إنما نرى في الفهرس قوله: "كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمه الله عليه" دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى "الأدب الصغير" أو إلى "كتاب التاج"، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين.

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً. وذلك لأنه لم يرد في طرة الكتاب الأول وهو "الأدب الكبير" عنوانٌ خاص له، وذلك بخلاف ما حصل في طرة الكتاب الثاني حيث أورد عنوانه هكذا "آداب عبد الله بن المقفع الصغرى" وكما حصل في الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا: "كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رحمه الله عليه".

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب "التاج" إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقني الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها في طوب قيو، واحداً واحداً، كما أتيج لي منذ بضع سنين. وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان.

عود الكلام على
اسم التاج
والكتب المسماة
بهذا الاسم



وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة^(١).
وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها عناوين مختلفة. بل هو نفسه يسميها
بأسماء، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل^(٢).

وبعد، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مولعا بأبن المقفع، ومُعجبا به وبآثاره.
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعاً لذلك الكتب
العظيم، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان"^(٣)؟
ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين.
فاختاره نفر من صدور الصدر الأول، وعنونوا به بعض كتبهم، مجازة لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم".
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أَتَمَّها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي للملوكهم"^(٤).

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدياء" لياقوت. فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب"، وباسم "طرائف
الأدياء". ومثل ذلك كتاب المقرئ، فإن اسمه "المواعظ والأعذار"، وهو مشهور باسم "الخطوط".
أليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصل لتاريخ ابن خلدون؟ وأشباه ذلك كثيرة جدا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث، أو كما يقول الجاحظ: "كل من كان كلما يترافها وكان له في العلم أصل وكان
يته وبين التبيين نصيب". أنظر كتاب الحيوان (ح ٣ ص ٧٣).

(٢) وأظن الرسالة التي كتبها بعنوان: "من هو الجاحظ، وما هي مصنفاته"؟ وسأشرها فيما بعد.
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية. وذكره صاحب كتاب الفهرست. وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancev في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢).
(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج^(١) في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج^(٢) ، لأبي عبيدة ، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب الفهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقدمه إليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦١، ٢٦٢ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن نثينة في كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر القفطي في كتاب "إسما الرواء على أبناء النحاء" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" (أنظر السبعة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأثير في "زهر الألباء" ولا السيوطي في "بستان الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسي (ص ٣٦١) وما حسب "تاج العروس" في مادة (ح م ر) لم يذكر كلاهما غير كتاب الديباج . وما ينبغي التنبيه إليه أن العبارة التي نقاها صاحب "تاج العروس" عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) راها واردة بنصها تقريبا عن "كتاب الديباج" أيضا في كتاب "الكامل" (للدرد ص ٣٧٢ من طبعة ليسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضا مع زيادة وقص طفيفين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التحريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد انقضى وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم لقبه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على العان بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا من مثالبهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندي، المتوفى سنة ٣٠١. [وقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(١) في كتاب سماء "السبك"^(٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتقج في العدل والسياسة"^(٣).
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع.
- هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجلاظ وبعبده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره^(٤).

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشيابه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦٠، ٦٦٦٦، ١٣٢٤٢٦ من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فآلفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تاج الحرة لأمري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المؤكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج الملئ، تاج الفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلبة ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كيمية العلاج، تاج الهجاء، التاج المرصع في شرح رجز أبي مرقع، تاج المعارف وتاريخ الخلاف، تاج الفرق في تحلية علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزاة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، آتخ.

إلى هنا أتتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

فن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلفًا، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريبًا فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئًا من أسمائها فى "مراة الزمان".
ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جدًا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شك مُريب .

نقطة فى أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجموعه قد لا يوافى ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته ومجانتته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يُؤْبَهُ به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاقٍ لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاصٌ بموضع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأدحان .

كتاب التاج

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دقنها الفرس في آيينهم وقوانينهم، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجالٌ يتبسط فيه ويسرح، أو ميدانٌ يتنشط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سانحة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي البأية الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج، في حاشية (ص ١٩) .
(٢) البأية معناها : الحد، الوجه، المصلحة، الشرط، القيل، النوع . وأستعملنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : "فليس الديك من بأية الكلب، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا" . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : "وقد أيقنا أنهما ليسا من بأية" . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا تقيم بن مقبل، هذا محل الشاهد منها :

بني عامر، ما تأمر وتبشاعر * تحيّر بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" مصنف الكلبيين الأولين من الشعر الثاني من البيت الأول (كما مصنف وحرف وسنخ وشوة في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصر) فأوردها هكذا "بمجرى آيات" ولكن الصحيح ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول في مادة (ب وب) مثل روايتي وقد فسره بقوله : معناه تحيّر هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البغلاء : "أنت من ذى البأية ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البأية" (ص ٤٥ ، ٤٣) =

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنته "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يعجز فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يماثلها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سمجايه .

= ومثل ذلك (في نفع الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة لندن ١٩٠٦ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشر الأندلسي :

إنما أزرى بقدرى أننى «لست من "بابة" أهل البليد...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا زال الناس : من بابى، فعناء من الوجه الذى أريده ويصلح

والبابة فى الحساب والمحدود ونحوه الغاية" .

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق ما للهند" : وبسببه أقول فيها هو بابى منهم ... (ص ١٢) .

وفي "شفاء الغليل" أنهم يقولون للرب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتوريقا بدعيا فى أشعار راقية . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظل : فتش . ييجى . وشى . يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧) .

(١) أنظر ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥

كتاب التاج

ولنا دليل آخر ، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه . ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه ، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزاوية على طبعه وتحيّزته .

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه ، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه ، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين" . فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك ، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار ، كما حانت له نُهْزَة أو تجددت لديه الفرصة ، بل كلما تراعى له شقٌّ ضئيل يفضى به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير .

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدّم له في بعضها الآخر . فإذا علمنا ذلك كله ، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا . نحن نجد ذلك ، بلّه نجد ما هو أبلغ .

أفأ تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين" ؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قبل نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٢) . ومثلهما كتاب "البخلاء" في موضع واحد أيضا^(٣) .

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤) .

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢٤ ج ٣ ص ٥١ ج ١ ص ٦٩ ج ٣ ص ١٠٩) . وأنظروا أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و (ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ من ص ٥٣ ، ٥٤) و (ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١) .

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩) .

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجاحظ بن أبي سبرة وسبب الأذى ، نراها بنصها وحررها تقريرا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) . وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢) .

فلو كان المؤلف رجلاً غير الملاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان استعمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الملاحظ . وقد أشرت إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حلت بها صفحات هذه الطبعة ، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثراً محسوساً ملموساً نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الملاحظ . فهذا المسعودي ، قد استحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطرت لنقل حكم الملاحظ ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل أكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وفيه"^(٢) .

وهذا البيهقي ، هذا حذو المسعودي . ولكنه تحبّط عند ما نقل حكم الملاحظ والحديث الذي يرويّه عن ألقاه إليه .^(٣)

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٣ و ٤) فيها ، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

كتاب التاج

وهذا صاحب "معائن الملوك". سطا تلى "التاج" فنقله كله تقريباً : نارة بالحرف وغالباً بالاختصار . وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط ، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها ^(١) .

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها ، كما يقول الجاحظ ، قائماً في العقل مُطَرِّداً في الرأي غير مستحيل في النظر ^(٢) - فإنها ، والحق يقال ، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده ، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذي تتلج به الصدور . ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة ، والحجج الظاهرة الساطعة ، والشهادات القائمة اللامعة ، التي ينتهى إليها العلم ، ويقف عندها البيان .



وحيث أن فلاسيف لإزالة الإبهام وأستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا أستفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب ، لأن قولهما هو الفصل الذي لا تقضى فيه ولا إبرام . أعني بهما : محمد بن إسحاق النديم ، وأبا حيان التوحيدي الكاتب الشهير . فكان حقا علينا أن نسألهم ، فعند جهينة الخبر اليقين .

مراجعة الميرون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذي ألفه العلامة آبن النديم ، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ في ليبسك ، مدينة العلم بألمانيا . ولكننا لا نرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد .

استفتاء آبن النديم ،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها .

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧) .

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالجاحظ ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة^٢. وقد ثبت ذلك مثل وَصَح النهار، بأمور ثلاثة :

أولها - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أمرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإخصائي. لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان، ولأنها غير واردة بالنص. وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "المختص" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل، وهو كما يرون. فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصاغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسب إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا أفرد" . فإن كان أخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس العائق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٥١ و ٣١٥) ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

كتاب الساج

ثانيا - أن الأستاذ هوتسما Houtsma ذكر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم^(١) (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا شترة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثا - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورأته^(٢). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم الجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلقتم حتى بمواصلة البحث واستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أمّرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراندي، الناشي، أبوعل الجبائي، الرمانى، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط ذكرى بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، وراق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بـخزانة يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوبرلي .

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُببط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصسة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دوة فائحة إلى خزانة كتي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الغلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يبتدئ من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة . ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالي للكلام آخر تقدم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسئى بالتدكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع الآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة. وبديهي أن القسم الذي صرح به العلامة هو تسما هو متقدم أيضا على الواسطى المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بآلة في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتدقيق : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أترىص إلى أن تُتيح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تفریط الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد أستوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد أستوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول “ ؟

استغفنا. أبي حيان التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٦٩٠ ، ٥٨) في ترجمة الجاحظ .

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث التغلبي . (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التعريف بالفتح
ابن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغرمين بالكتب غراماً شديداً . وكانت له خزانة حكيمة لم ير الناس أعظم منها : كثرةً وحسناً . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما استكتبه الفتح نفسه .^(١)

وقد كان يشمل برعايته كثيراً من أكابر العلماء، وكان يحضرداره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة . ومن كان في جملة المفضل بن سالم اللغوي المعروف .^(٢)^(٣)^(٤)

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب النديوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

كتاب الساج

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله^(١) . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه^(٢) . وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قدموها إليه - ومن جملتهم
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير"^(٣) . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سيأتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب وأجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسمتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أخطاء مطبعية كثيرة .

ولست المخطوطات من الطراز الأزل من حيث الصعة والضبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبمختنا . ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يألّفها الملوك والأمراء والورداء والسادات . ونحن نعلم أنه كان فارساً مقداماً وأنه قَتَلَ أسداً ، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحتري .

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث .

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١) . ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢) . وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه : "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣) .

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه .

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢) .

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست .

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل) .

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“. لأنه ربما يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو للجاحظ.

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذي بأيدينا. لأن كتاب ”التاج“ يتضمن في أوله وفي آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتوثيقاً بذكره، وينادي صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١). ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذي ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ باسم الفتح، ثم نتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلي كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“. ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود في النسخة المطبوعة^(٢).

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده.

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث التغلبي (أو النعلبي) الذي يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣).

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير. وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

كلام عن محمد
ابن الحارث

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج.

(٢) ففي نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر. مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التي ثبت أنها من تأليف الكوفي. أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣).

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨).

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البقل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمدوه في طبع "المروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهروست" في ليطسك ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذى بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فنعلموا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتجهل به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفتاء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يُدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير ، أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب يتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطابع المتمكن ، والمعانى التى إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وشأياه وأعطافه ، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصانعه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد ، ورب الكلام الذى له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تعرفا كثيرا ، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشى المتقدمة (١٠٠) .

ورونق ، وفيه قرة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصيارفة النثر والنظام وجهازة المعاني .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الخلاوة ويتعجق فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحبسه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يحارى المعنى : بطريقة تهش لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب، وهنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا ، وترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهو ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلى الناسك لظلمته ؛ ويحتاج إلى أهل الهزل ، كما يحتاج إلى أهل الجدة والعقل ، ويحتاج إلى الزامر المطرب ، كما يحتاج إلى العالم المتقن .

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التعبير .

وفي صفحة ٣٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا ابن صناعة دينية كآبن حائك أو نجار ، ولو كان يعلم الغيب مثلاً .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأمرها بأحلافه أن لا يؤاخذ به بركة إن سبته ، ولا بلفظة إن علمت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حُلِّيَ ونفسه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ ماله ، قاتله دونه ؛ وكان إذا شتم ، غضب وأنصر ؛ وإذا تكلم ، أفصح بقل سقطه ؛ فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أنها وبقصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . وإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسامانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأسس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقنة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية بمامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملقح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تصي يده منه . فنظر إلى هيئة ملأت قلبه ، وكان جسياً ، فقال : " يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وهيمة ما تصلح إلا لواحد من الخلق " . فأنصرف فلم يأت به حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حماته ، والرجل من حامته وبطانته ؛ إما لجنائيه في صلب مال ، أو لجنائيه حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلاً ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نعلم أن طبائع الناس الانصراف في أول أوقات الجنائيات وبعد أول بوادر الغضب .

ثانياً - إن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدتها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "الملاحظ".

فقد أعتمد الملاحظ على ^(١) ابن نجيم وعلى إبراهيم بن السدي بن شاهك وعلى محمد ^(٢) ابن الجهم وعلى صباح بن خاقان ^(٣) . وكذلك شأنه في النقل عن ^(٤) "كَلِيلَة وَدِمْنَة" ^(٥) .

أما المداخية والهيم والشرقي بن القطامي، فالنقل عنهم كثير جداً في كل كتبه . فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصددده .

ثالثاً - إن الملاحظ مشهور بالتكرار والترداد، وهو أمر نشاهده أيضاً في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

- (١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩) .
- (٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠، ج ٤ ص ١٣٥، ج ٥ ص ١٠٣، ١١٩، ج ٧ ص ١٢) وفي "البخلا" (ص ٢٦) وفي "اليان والبيان" (ج ١ ص ٤١، ٥٤، ٦٠، ٧٩، ١٢٩، ج ٢ ص ٣٩، ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧، ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧) .
- (٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلا" (ص ١٤٨) وفي "اليان والبيان" (ج ١ ص ٤٥، ج ٢ ص ١٦، ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٣٥٢) .
- (٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "اليان" (ج ١ ص ٤٨، ١٣٦) .
- (٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨، ج ٧ ص ٢٩، ٣٠) .

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكمية الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦٨، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالة على وجوب الاحتياط على الملك عند الدثومة (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

شارحه بالكتابة
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

ولعل قائل يقول ، إذا رأنا قد حكمنا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظالم في اللفظ ويستدعي في المقال . وأدرك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند الفسطاط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصبيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"الهيستان" لا تحتل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتي ضن بها علينا الزمان ؟

بعد التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه ونصحيح مسوداته وتجاربه ، ثم انقطعت لكتابة "التصدير" وتكيل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتماد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار سافت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فقد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التحائف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فتصفحتها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتباعي وسرورى حينما عثرت في حملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أصرحت فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسمىها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعى كلمة كلمة وحرنا حرفا . فالتيت في "الحليية"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . وجدتُ فيها بعضا من العبارات التي
أعتمدتها في طبعى، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحليية"
من التحريف الذى قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحدا ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الرائدة أو الناقصة ، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذى
يعينى منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التى فيها فائدة جوهرية، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هى التى أكتفيتُ بتحريرها في باب
عنوانه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيجات" حتى يكون "الناسج"
متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لى وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (سـ) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير، فلا بد لى من أن أقول
في هذا المقام إننى أكملتُ كلاً من هاتين النسختين بالأخرى، وأتعبتُ نفسى كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن
تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأننى شرتُ عن ساعد الجسد ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ بكل
ما فى الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى
جاءت طبعى لكاتب "الناسج" جامعة لكل ما جاء فى النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق،
ويستغنى بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناها قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثسوفسكى . وقد كان قابلى بالقاهرة وفاوضته فى شأن "التاج"
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكى يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتفاينهم فى البحث عنها . ولانى
أشكره على هذه العناية، وأهنيئه على بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغاية .

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحسن والمساوي		محاسن الملوك		مروج الذهب	تنبيه الملوك
ح ١٢ ص ١٢	ح ١ ص ١٠٦	ح ٨ ص ١٣	ح ٢ ص ٩٩	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٥ ص ١٢	ح ٢ ص ١٠٨	ح ٣ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٣	ح ٣ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٤ ص ٥٥	ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١٦	ح ٤ ص ١٢٤	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ٢ ص ٥٧	ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٣٣	ح ٣ ص ١٢٥	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ٢ ص ٥٩	ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٣٧	ح ٧ ص ١٢٥	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٣ ص ٧٨	ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٥ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ٨١	ح ٤ ص ١٣٤	ح ٢ ص ٥٦	ح ١ ص ١٣٢	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٢ ص ٨٢	ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ١٤٠	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٣ ص ٨٣	ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤١	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ١ ص ٨٨	ح ٢ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ١٦٠	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٢ ص ٨٨	ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١٦٢	ح ١ ص ١١٢	
ح ٢ ص ٩١	ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ١ ص ١٦٣	ح ٣ ص ١٣٠	
ح ١ ص ٩٤	ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٢ ص ١٣١	
ح ١ ص ٩٩	ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ١٧٥	ح ٢ ص ١٣٢	
ح ٥ ص ١٠٠	ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٤ ص ١٧٦	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٢ ص ١٠١	ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٢ ص ١٨٠	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ٢ ص ١٠٢	١٩٧ ص	ح ١ ص ٩٥			
ح ١ ص ١٠٤					

المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطسبري	الأغانى	محاضرات الراغب
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٩
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤	
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢			
ح ١ ص ٨٨				
ح ٣ ص ٨٨				
ح ١ ص ٩٧				
ح ٢ ص ١٠٠				

نهج البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدر
ح ١ ص ١٩٠	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ح ٢ ص ٢٠٢	ح ٤ ص ١٦٩		

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكلل لثن، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندي يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندي .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
نعمسة .

الأرقام المكتوبة في العلبة ٥ على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى أعتمدتها في الطبع) .
أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاقه وفهارسه ، فوضعتها في أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك من أجل للتباس .

٣ — الحركات

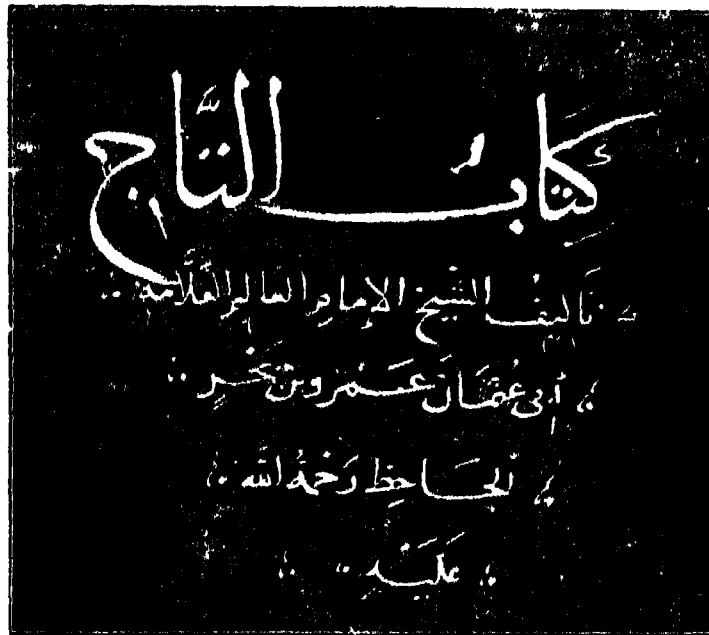
• هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .
» » » » بـ كسرين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحتين .
عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - ء -) لئلا تكون بمثابة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

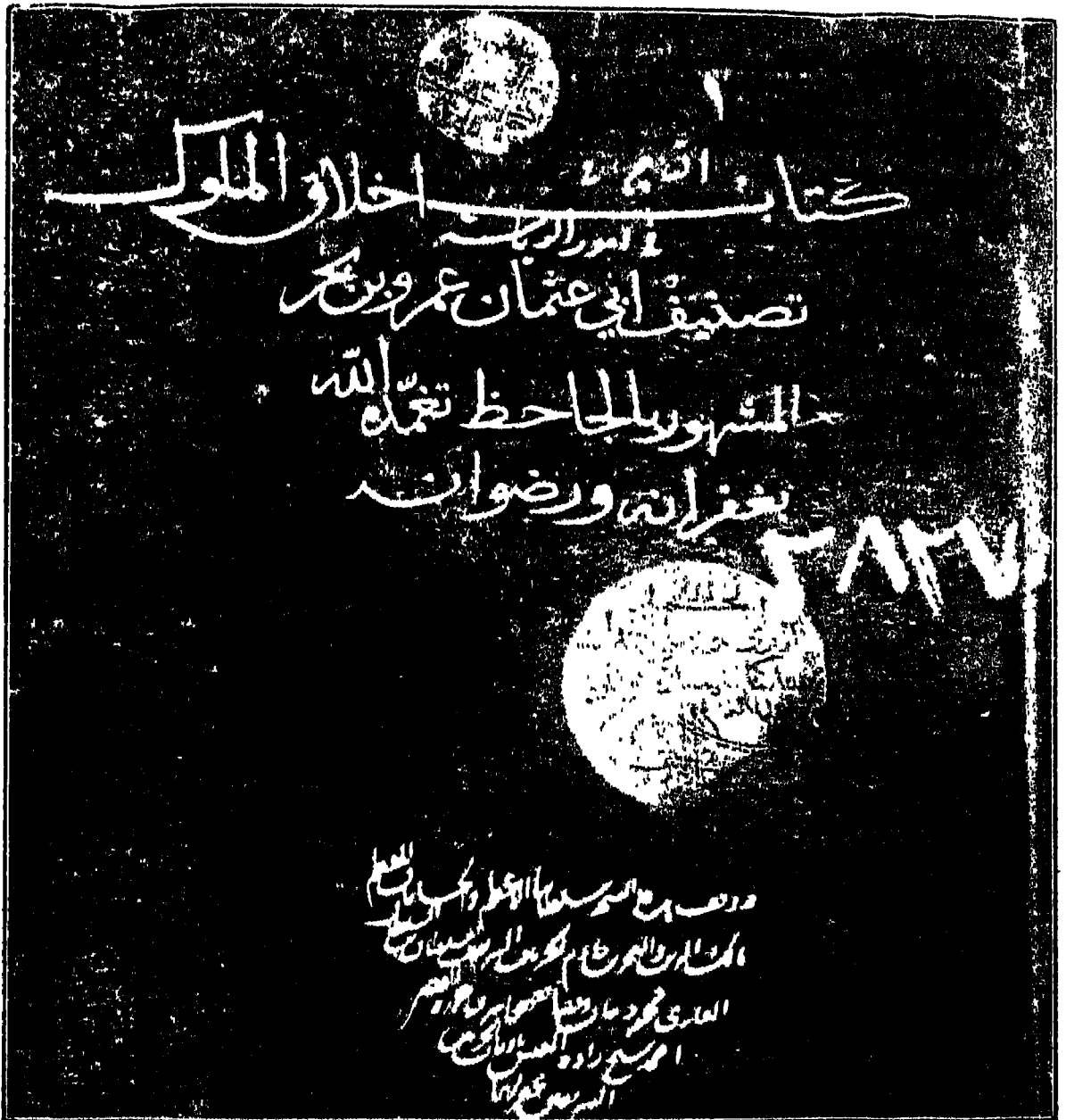
- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال ؛ اللهم إلا إذا كان مما يمحبه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية ، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر ، متمسدا على المصادر المعتبرة .

— — — — —



(الرموز الأول)

تتضمن هذه النسخة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سـ)
وهذه النسخة محفوظة بخرانة طوب قيو بالقسطنطينية، رقم ١٣٣ أدب.



(الرموز الثاني)

تمثل به طرة النسخة الثانية المحمودة بخزانة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف ص ١٠ في هذه الطبعة

أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ مَرْيَمَ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ كَانَ
 مِنْهُ قَارِحًا إِذْ سَاسَ مَنْ جَحِيمُهُ وَعُتُوهُ وَيَحْلِلُهُ ذَنْبُكُمْ
 فَانْهَ عَنْ كُنْ يَأْخُذُ بِالْحَمْدِ وَيَقْنَأُ بِالْقُلُوبِ وَيُخَيِّمُ الْبَرَى وَيُغْلِبُ
 بِالْمَوْتِ فَقَالَ سَبْرُوهُ لِلْحَابِيبِ اجْعَلْهُ إِلَى جَهَنَّمَ فَكَانَ لَهُ
 كَمُ كَانَتْ أَرْزَاقُكَ فِي حَيَاةِ ابْنِ مَرْيَمَ قَالَ كُنْتُ فِي ذُنُوبٍ مِنْ الْعِيشِ
 قَالَ فَكَمْ زَيْدٌ فِي مَرْزُقِكَ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي ذُنُوبِي شَيْءٌ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرَأْتُكَ ابْنُ مَرْيَمَ فَانْتَصَرْتُ مِنْهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنْكَ رِزْقُكَ
 وَلَا تَتْرَكَ فِي نَفْسِكَ وَمَا لِلْعَانَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَمَنْ
 رَعِيَّةٌ فَأَمْرًا يَنْزِعُ لِسَانَهُ مِنْ قَفَاهُ قَالَ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ
 إِذَا لَحُزَّ جَسَدُ بَنِي الْبَيْتَانِ بِمَا لَا يَحِبُّ (ر) وَحَدَّثَنِي
 مُحَمَّدُ بْنُ حَفَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَوَّلَا أَنِّي رَأَيْتُ
 أَبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَوْضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَانِبَهُ صُلَّ أُولَئِكَ
 الرُّؤْيَا فَضَرَبَ الرَّاسَ بِمُؤَدِّ كَانَتْ يَدُهُ فَقَالَ
 الْمَنْصُورُ لِلْسَّبِّ ذُقْ وَجْهَهُ فَذُقِ الْمَسْتَبَّ أَنْتُمْ قَالَ لَهُ

(الرموز الثالث)

يُتَمَلَّ فِيهِ لِاحِدَى صَفَحَاتِ النُّسخَةِ السُّلْطَانِيَّةِ (وهي صفحة ٩٣ من الاصل ،

ويقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة) .

٢٩

الآن وعرفت بزمه فقلت لأحد سبعة وكنت ثلثون قال شاكك فأنصت
 بسبعين بدع وأصرف لك الموت عن النار قال وكان الرشيد
 في أخلاق أبي جعفر عظمى كان في العلياء فانه كان ينزل فاعلم
 أبي العباس والمديني ومراخبرك انه رأى يشرب الماء فكتبه وكان
 لا يضر شربه إلا خاص جواربه ومن تمارب لفظه فتحرك حركة بين
 الحكمتين في العلم والكثرة وهو من بين خلفاء بني العباس من حمله
 الفتيان مراتب وبلدناست على ما وضعهم ارضه وانشادان وكان
 ابراهيم وابن جاح وزلزل في الطبقة الاولى فكان زلزل يفر فيفتي
 هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن سفيان وعمر والعزال ومن
 اشبهما بالطبقة الثالثة اصحاب المعازب والوزج والطنابير
 وعلى قدر ذلك كانت خرج جوارهم وميلائهم وكان فاعول
 واحدا والطبقة الاولى بانال كثير فيجعل المعاجيه الذين
 معه في الصنع ونسبها منه وجعل للطبقين اللتين تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩ ،

ويقالها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة
ابو عثمان غفر عن نحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الجزاء الاخر وهو الخبير
الخبير احمد على تنابح الآيه وتواثر نعمائه وترادف مننه واستوفقه
لما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبهه ولا ينظير
الذي جل عن الاجزاء والتبعيض والتحديد والتمثيل والحركة والسكون
والثقلية والنزول والتصرف من حال المحاكاة لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي جذا اننا على وضع كتابنا هذا مطان فيها ان
الله عز وجل لما نخص الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشتر
العامة وبعض الخاصة لما كانت تجهل الاقسام التي يجب للملوك عليها
وان كانت متمسكة بحملة الطاعة حضنا اذ ابها في كتابنا هذا لان جعله

عمالك قهرت في العدة فقال كذبت فبعت وقال يا نفس من
 اين علم اني كذبت فاقمت سنة لا اجترئ على كلامه ثم رفعت اليه
 رقة اخرى في اجرا الرزق فقال كم عمالك قلت اربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بخري على عياله كذا وكذا ولو لا ان يطول
 الكتاب في اسحق وذكره وجيئنا مناقبه لكي ناعنه اخبارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وفيما ذكرناه بكفاية والله اعلم بالصواب
 والحمد لله رب العالمين

هذا الكتاب من كتب
 المكتبة الحوزية في
 كربلاء
 رقم ١٧١ من طبعنا

(الرموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعنا)